مع الوزير عمر سليمان

ولقد امتد عمق العلاقة المشاغبة مع رجل المخابرات المصرية العتيد لسنوات الثمانينيات عندما كانت جريدة الأهالى لم تزل تتخذ مقرا لها فى شارع عبد الخالق ثروت، حضر إلى الساعى عم عبد العليم المسئول عن فتح المقر وإغلاقه ليبلغنى أن شخصين تلقفاه فى الشارع أمام مقر الجريدة وابلغاه انهما من "المخابرات العامة" ويطلبان منه أن يسلمهما نسخة من مفاتيح المقر. ولما تردد متسائلا كيف يعرف أنهما من المخابرات؟ قطع أحدهما ورقة من مفكرة صغيرة وكتب عليها رقمى تليفون (أرضي) وأن يطلب "المهندس فلان وسيرد عليه أحدهما". وكان الرجل مرعوبا، وأخذت منه الورقة الصغيرة. وبعدها جلست مع الاستاذ خالد وبحماس منفعل قلت اقترح أن يطلب عم عبدالعليم أحد الرقمين ويطلب مقابلتهما وفى الموعد

اذهب معه والقنهما درسا. قال الاستاذ خالد تعلم ألا تلاعب النمر. وتكلم تلفونيا مع الوزير طالبا مقابلة لنا معا. كان الوزير عمر سليمان كما رأيته لأول مرة هادئا وواثقا من نفسه ويعرف متى وكيف يرسم ابتسامة تأتي ذات معان متعددة. واعتقدت منذ الوهلة الأولى انه يعرف لماذا كانت هذه الزيارة. وشرح الاستاذ خالد الموضوع وقال أنا اعتقد أن المسألة مش مسألة المفاتيح فأنتم تستطيعون الدخول حتى من تحت عقب الباب، وكانت الابتسامة الأولى مصحوبة بعبارة "مش للدرجة دي" ثم وعندما حاولت أنا اتكلم اراح هو ظهره على المقعد المريح بطبيعته ووجه كلامه لي "سائلا" هو مقر الأهالي فين؟" وهكذا استدرجني إلى ما يريد قلت بشارع عبد الخالق ثروت. قال والشارع ده فين؟ فقلت مندهشا في وسط البلد" وتمادي" أنهى بلد؟ ورغم أنني فهمت اضطررت للاجابة قائلا "القاهرة" وقال بهدوء مصنوع بإتقان "يعني جوه مصر احنا نشاطنا مقصور على ما هو خارج مصر، وفيما استعد لهجوم مضاد، قال الاستاذ خالد بهدوء يليق به وبالوزير، يبقى حضرتك تسمح لنا أن نبلغ النيابة عن هذين الشخصين لأنهم كده يبقوا نصابين أو لصوص؟ وهكذا تناطح الهدوء مع الهدوء، واجاب الوزير متجاوزا تحدى الاستاذ خالد هي الورقة دى فين؟ واخذها ولاحظ الرقمين، وأنا قلت مغتاظا أنا مطلبتش الرقمين ممكن حضرتك تطلب رقم منهم؟ فرد بهدوء ازداد عمقا "مالوش لازمة". وشربنا القهوة وانصرفنا دون أية كلمة زائدة وكأن شيئا لم يكن، لكن

الشخصان اختفيا وظللنا الاستاذ خالد وأنا لم نعثر على اجابة للسؤال المحير لماذا؟

* * *

وبمناسبة الحديث مع الوزير عمر سليمان عنه انحنت ذاكرتى إلى واقعة جانبية، كنت ضمن وفد للشورى بالكويت وكان أحد نواب مجلس الأمة الكويتى يتواصل بالعلاقة مع الوفد المصري، وخلال زيارة مقررة لكل الوفود حيث صور بعض من كانوا يسمونهم الاسرى الكويتيين لدى العراق خلال فترة الغزو العراقى للكويت، وكانت الصور مؤلمة لأطفال شباب وشابات وكهول.. وفيما يسود الألم المناخ العام سحبنى النائب الخرينج وكان أحد المسئولين فى لجنة الدفاع عن الاسري، وسألنى "هل صحيح أنك صديق للقيادى الفلسطينى عبد الله حورانى فقلت مندهشا "صحيح" وهو صديق عزيز وشخصية محترمة. فقال الخرينج طبعا طبعا. وفى المساء دعيت إلى لقاء مغلق كان الخرينج حاضرا ومعه شخصان وطلبوا منى أن ارتب لقاء مع عبد الله حورانى فهو وفق تعبيرهم "واصل مع القيادة العراقية ونريد وساطته لتفاهم حول الطلبات العراقية للافراج عن الاسري. وفى صباح اليوم غادرنا الكويت وفى الطائرة جلست إلى جوار د. مصطفى كمال حلمى وحكيت له، فقال يجب أن نبلغ الوزير عمر سليمان لنعرف رأيه هل تتدخل أنت فى هذا الأمر أم لا؟، وفور عودتنا ويبدو أن د. مصطفى كان متعجلا فوجئت بمكالمة من الوزير (كانت مباشرة دون مرور عبر السكرتارية) كان ودودا جدا وقال : الحقيقة إن

معلوماتنا أن مفيش اسري، لكن طالما هم طلبوا مساعدتنا ارجوك ساعدهم قدر الامكان، واتصلت بعبد الله حورانى ورتبت له لقاء مع النائب الخرينج جلسنا ثلاثتنا فى نادى السيارات. ولما عرف حورانى الموضوع بادرنا قائلا : أنا لا أعرف إذا كان هناك أسرى أم لا، ولكننى كمسجون سابق اعرف أن فى كل سجن مهما كان يمكن أن يوجد "ملاك" أو حتى "مرتشي" يمكنه أن يسرب اخبارا عنهم، وقلت أنا "على العموم ارجوك ان تحاول وأن تبذل جهدك " فقال اعتقد أن الشخص الذى يمكن سؤاله فى هذا الأمر هو "الرفيق طارق عزيز" فقلت انت تعرف انه صديقى فانقل له رجائي. ولأن الأمر يتطلب ترتيبات متعلقة بنفقات السفر وغيرها وجدت انه من الافضل أن اكتفي أنا بذلك وغادرت. وبعدها جاء حورانى مرة أخرى القاهرة ونقل لى رسالة من طارق عزيز يؤكد فيها هو شخصيا لى شخصيا انه لا يوجد اسري، وأن التعليمات هى عدم نفى وجود اسرى رسميا ليبقى الأمر مربكا للسلطات الكويتية. وسألت حورانى وماذا ستقول للاخ الخرينج قال : أن الاجابات التى اتفق عليها مع طارق عزيز هى : يقول العراقيون أن هذا الامر ليس محل نقاش. وبعدها بنصف ساعة اتصل بى الوزير عمر سليمان، وقال ضاحكا : لم أكن أعرف انك صديق لطارق عزيز. وعرفت أنهم عرفوا التفاصيل فقلت المهم أنا مش عارف حأقول ايه للأخ الخرينج : فقال اترك لى هذه المسألة، وتركتها.

وسنوات طويلة مضت حتى زارنى واحد من رجال المخابرات فى منتصف احداث يناير ٢٠١١ وقال : معالى الوزيرعايز يقابلك

والتقينا فى مقر رئاسة الوزراء وتبدى الأمر من بدايته وكأن له مكتبا وسكرتارية وترتيبات أمنية خاصة به هناك، استقبلنى الوزير مرحبا وكأننا اصدقاء قدامي، وسألنى ما رأيك؟ وقلت رأيى بغاية الصراحة وقلت الهروب إلى الامام لا يجدي، وكلما طال الأمر تضاعفت المطالب الجماهيرية.. ولابد من حل جذري، فقال يعنى ايه جذري؟ قلت يعنى جذرى أى القبول الفورى لمطالب "الميدان" والاطاحة برؤوس الفساد وهم ذاتهم رؤوس النظام وأن يعترف الرئيس علنا ودون مواربة بالاخطاء كاملة، وأن يؤكد صراحة انه لا توريث وانه لن يترشح فى الدورة الرئاسية القادمة لا هو ولا ابنه، كان ينصت بلا مقاطعة حتى انتهيت. فوقف وسلم على طالبا للجالس الذى كان يكتب كل حرف قلته وهو بالمناسبة ذات الشخص الذى رتب اللقاء "ابعت لى المحضر فورا".

وبعدها بيوم دعيت إلى اجتمع مع عديد من رؤساء الاحزاب وقادة العمل السياسى وفيما يسير ذات الشخص (الذى يبدو وكأنه مدير مكتب الوزير فى هذه المهمة) همس فى اذنى معالى الوزير يرجو أن تخفف من المطالب حتى يتمكن أن يناقشها هو مع الرئيس.

وكان ترتيب الجلوس مثيرا للدهشة الوزير وأنا إلى يساره مباشرة ود. حسام بدراوى الأمين العام للحزب الوطنى على يمينه وبعده سيد البدوى وعلى يسارى أنا الدكتور سعد الكتاتنى النجم الاخوانى الذى سطع فى هذه الايام (ربما لاخفاء النجوم الاصليين)

بدأ الوزير الجلسة بكلمة قصيرة جدا، تقول باختصار نحن فى أزمة حقيقية ونتمنى أن يراعى الجميع ذلك وان نسعى معا لحماية الوطن. ثم ولمزيد من الدهشة اعطانى الكلمة فقلت ما سبق قلته له وانما برفق ودون افصاح صريح ولكن الفهم متاح لمن يريد. ثم اعطى الكلمة للدكتور حسام ليلقى كلمته كأمين عام للحزب الحاكم فإذا بحسام بدراوى يزيد الدهشة دهشة أخرى إذ قال وبإيجاز محكم "أنا متفق تماما مع ما قاله رفعت السعيد، واكتفى به، وخيمت الدهشة على الجميع.. وسار الاجتماع فى هذا المسار تقريبا حتى سعد الكتاتنى رغم التواء كلماته فإنه لم يرفض.

وانتهى الاجتماع لنخرج ونفاجأ بعدها ببيان يفترض انه يعكس ما توصل إليه الاجتماع، لكنه قال كلاما آخر يمكن أن يفهم على اكثر من وجه. واتصلت بالسكرتير أو مدير المكتب سيان وابديت غضبى قائلا "هى المرة الاولى والاخيرة التى أحضر فيها لقاء كهذا. الرجل اعتذر بأدب وبعدها بقليل اتصل ليبلغنى بموعد عاجل وهام جدا مع الوزير منفردا فى التاسعة والنصف صباح اليوم التالى بمقر مجلس الوزراء. وفيما احاول الاعتراض ألح بأن الأمر هام جدا. وفى اليوم التالى دعيت للحديث فى برنامج "صباح الخير يا مصر" وفيما اتجه إلى ماسبيرو مررت على مجلس الشورى لاحصل على بعض المعلومات عن المعارك الدائرة حول مبنى وزارة الداخلية وشارع محمد محمود..وهالنى اصوات بنادق آلية.. مصوبة بقدر أو بآخر إلى صدور الشباب. وكنت قد تلقيت فى الصباح نبأ استشهاد اثنين

من شباب حزبنا فتوجهت إلى ماسبيرو وأنا أغلى وما أن دارت الكاميرات حتى قلت لمقدم البرنامج لدى خبر عاجل جدا فقال تفضل وقلت "سبق أن حددوا لى موعدا قيل انه هام جدا مع الوزير عمر سليمان، وانا ابلغه الآن على الهواء مباشرة أننى لن اذهب لمقابلته، فليس ممكنا ان اذهب لأتفاهم معه على اى شيء حتى ولو كان مهما جدا بينما الرصاص يغتال المزيد من الشهداء .. فقال مقدم البرنامج "لماذا لا تذهب وتقول له ما تريد؟ قلت أن ضميرى لا يسمح لى بمجرد المقابلة فى ظل هذه الأوضاع" وبعدها اتصل ذات السكرتير أو مدير المكتب، وقال "للاسف كان الاجتماع مهم جدا" فقلت لا يوجد أهم من دماء الشهداء. فقط اضيف أننى بعد ماسبيرو توجهت إلى جلسة الشورى وعلمت أن ترتيبات تجرى لتشكيل حكومة جديدة وحمدت الله أن نجانى من هذه المقابلة .. وكان هذا الموعد الاخير مع صقر المخابرات المصرية العتيد.